وعبد الله بن محمد البلوي وكذلك بجاية وقد برز بها فقيه ذائع الصيت وأحد أقطاب التصوف وهو عبد الرحمن الوغليسي.

ويضاف إلى بجاية والقيروان مدينة قسنطينة التي برز بها خلال القرن 8هـ من دون شك ابن باديس كمحدث مالكي ذائع الصيت خلال هذا القرن. وقد أكد شهرته تلميذه ابن القنفذ مرتين في هذا المجال. ومما يؤسف له أيضا أن ما وصلنا من أخبار عن ابن باديس في هذا الميدان ضنينة وتكاد تكون منعدمة وهو الأمر الذي حرمنا من إبراز جوانب هامة في حياة ابن باديس وكشف الغموض الذي يحيط بها.

الهـــــــوامش:

(1)–أبو القاسم سعد الله.تاريخ الجزائر الثقافي.الجزائر 1981، ج 1، ص:170

(2)– ابن قنفذ القسنطيني. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. تحقيق وتقديم الشاذلي النيفر وعبد الحميد التركي. تونس 1968، ص ص: 148-149.

(3)– العبدري أبو عبد الله محمد. الرحلة المغربية. تحقيق محمد الفاسي. الرباط1968 ص ص 32-33.

(4)– ابن قنفذ القسنطيني. الوفيات. تحقيق عادل نويهض. بيروت 1982، ص: 376

(5)– نفسه. ص ص : 376-377 .

(6)– التنبكي أحمد بابا. نيل الإبتهاج. طرابلس.ط 1. 1989. ص: 160.

(7)– أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ج 1. ص ص :52-53.

(8)– ابن قنفذ القسنطيني. أنس الفقير وعز الحقير– نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور– الرباط– 1965–.صص : 92-93

(9)– الزركشي أبو عبد الله محمد. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تحقيق وتعليق محمد ماضور. المكتبة العتيقة تونس.ط 2 1966 .ص: 108 و ص:110.

(10) روبار برنشفيك.تاريخ إفريقية في العهد الحفصي.ترجمة حمادي الساحلي.دار الغرب الإسلامي 1988ج 2.ص 119.

11)– نفسه. ص:357.

(12)– توجد مخطوطة في خزانة الرباط تحت رقم د 583 و د 1641. وقد اطلع عليها سعد الله وقال عنها أن فيها أخطاء فادحة. المرجع السابق. ج 2 . هامش 92. ص:80.

(13)– ابن قنفذ القسنطيني. أنس الفقير. ص:50.

(14)– أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ج1. ص ص: 79-80.

(15)– ابن قنفذ القسنطيني. الوفيات. ص: 376. وأنس الفقير ص: 50.

الداي علي خوجة وإصلاحاته

(1817 – 1818)

أ/ بوشنافي محمد

عرفت إيالة الجزائر أثناء العهد العثماني (1520–1830)، فترات من الفوضى والاضطرابات ارتبطت بعدم الاستقرار السياسي، مما كان له تأثير مباشر على تدهور الأوضاع العامة(1). غير أن هذه الحالة لا تنفي وجود محاولات إصلاحية، كان الغرض منها إحداث تغيير شامل على التدهور الذي شهدته الإيالة. ولعل أهم محاولة في القرن الثامن عشر، كانت تلك التي قادها الداي محمد بن عثمان باشا (1766–1791)(2)، وما يعطي لهذه المحاولة الإصلاحية أهميتها، سيادة الاستقرار والهدوء، الذي لم يقتصر على مدينة الجزائر فحسب، بل امتد إلى كامل أنحاء الإيالة، وهذا ما جعل البايات يساهمون في الإصلاح وإنجاحه، ونعني بذلك الباي صالح (1771–1792) في بايلك قسنطينة(3)، والباي محمد الكبير (1779 – 1796) في بايلك الغرب(4).

هل نجحت الإصلاحات؟ يظهر أن نجاح المشروع الإصلاحي السابق الذكر، لم يكن إلا ظرفيا، وبالتالي فإنه فشل في تحقيق "الانطلاقة الحضارية" للجزائر، إذ سرعان ما عادت الفوضى والاضطرابات إلى كامل أرجاء الإيالة، وكان من بين الأسباب التي أفشلت المشروع، تلك الوضعية التي أصبح يعيشها الجيش الانكشاري، الذي أهمل واجبه العسكري وأصبح يتدخل في شؤون السياسة بتعيين الدايات وعزلهم، كما أن مطالبه المادية (الأجور) أصبحت تشكل عبئا ثقيلا على خزينة الإيالة، وهذا ما جعل حمدان خوجة يصف هذا الجيش بقوله: "صارت تلك الميليشيا المسلحة التي لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل، ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة حسب هـــواهم"(5).

---

*- أستاذ مساعد بقسم التاريخ- جامعة سيدي بلعباس.

غير أن أخطر مراحل عدم الاستقرار التي عرفتها إيالة الجزائر، كانت تلك المحصورة ما بين عامي 1798–1830، فخلالها تعرضت إلى غارات أوروبية متواصلة، كانت أخطرها حملة اللورد اسكموث ***Lord Exmouth*** في عام 1816(6)، أما داخليا فإنها شهدت سلسلة من الثورات الدينية التي قادها جماعة من المرابطين وشيوخ الزوايا ونذكر منها(7) ثورة ابن الأحرش، ثورة درقاوة، الثورة التيجانية. ومما زاد في خطورة وتدهور الأوضاع، أن معظم دايات المرحلة كانوا مجرد أدوات في يد "اليولداش"، وانحصرت مهمتهم في توفير الأموال لدفع أجور الجنود، ومحاولة إرضائهم لتفادي التعرض للقتل، ورغم ذلك فإنه من بين الدايات الثمانية الذين تولوا شؤون الإيالة في هذه الفترة قتل منهم الستة الأوائل ما بين عامي 1798–1817 وهم على التوالي:[8] الداي مصطفى باشا (1798– 1805)، الداي أحمد (1805 – 1808)، الداي مصطفى باشا الغسال (1808–1809)، الداي حاج علي باشا (1809–1815)، الداي محمد باشا 1815)، الداي عمر باشا (1815–1817)، وبالتالي فإنه لم ينج من سطوة الانكشارية إلا الداي علي خوجة (1817–1818) الذي فتك به الطاعون، والداي حسين الذي وقع على معاهدة الاستسلام مع فرنسا في 5 جويلية 1830م ثم غادر الجزائر.

يشكل عهد الداي علي خوجة (1817–1818)، أهم فترات هذه المرحلة، ففي ظل الظروف السابقة الذكر، استطاع أن يستولي على الحكم، ويطبع عهده بمجموعة من الإصلاحات والقرارات الهامة، خاصة وأنه كان يتوفر على مؤهلات مكنته من ذلك، ومنها العلم، ولهذا أطلق عليه اسم خوجة (كاتب) وتذكر المصادر أنه كان شديد الذكاء، يحسن معاملة الغير، غير أنه كان سريع الغضب كذلك(9).

كان علي خوجة من بين المساهمين في عزل الداي عمر باشا ثم قتله في عام 1817، وحتى يضفي على هذه الحركة الانقلابية طابعا شرعيا، بعث برسالة إلى السلطان يبرر فيها هذا الانقلاب، ويتهم سابقه بالاستبداد وسوء تسيير شؤون الإيالة، إلى جانب صرف أموال الخزينة في مشاريع لا فائدة منها(10)، ويظهر أن ديبلوماسيته نجحت في إقناع السلطان والحصول على مباركته.

ما تجدر الإشارة إليه أن علي خوجة شرع في تطبيق إصلاحاته بمجرد جلوسه على كرسي الحكم، فبعد مبايعته من طرف الديوان والجنود والأعيان, كان أول عمل قام به أن أرجع الهيبة إلى منصب الداي, كما فرض الطاعة والانضباط بين الإنكشارية, ولعلمه برد فعل "اليولداش" الرافض لهذه الإصلاحات, أحاط نفسه بفرقة من الحرس الخاص تتكون من مائتي جندي لا تفارقه أبدا, كما

أحدث تعديلات هامة وعميقة في الحكومة, بعزل بعض الموظفين وقتل بعضهم الآخر, وتعيين يثق بهم في هذه المناصب, كحسين خوجة الذي عينه في منصب خوجة الخيل(11).

غير أن أهم قرار بادر الداي علي خوجة إلى اتخاذه, تمثل في نقل مقر الحكم من ق الجنينة القريب من ثكنات الجنود إلى حصن القصبة في أعالي مدينة الجزائر, وهو مكان استراتي مكنه من التحكم في المدينة, وخاصة الثكنات التي اعتبرت مصدرا للفوضى والانقلابات(2 بالإضافة إلى ما سبق يمكن أن يكون لهذا العمل أهداف إستراتيجية وأمنية منها إبعاد مركز الحكو عن الخطر الخارجي خاصة بعد قصف عام 1816م. ويذكر الزهار أن عملية الانتقال تمت في ي جمعة بعد صلاة المغرب وبمساعدة أهل الصنائع لمدينة الجزائر دون علم الجنود(13). ومهما يكن م الأمر فإن علي خوجة بهذا القرار عبر عن دهاء سياسي, حيث أن هذا الانتقال لم يمثل تغييرا بسي في مقر الحكم, بل تعداه ليصبح تحولا سياسيا هاما في فترة كانت الإيالة تعيش مرحلة حرجة.

ومما زاد في أهمية هذه التحولات, تخلي علي خوجة عن الاعتماد على الجيش الإنكشاري بعدما أوقف جلب المتطوعين من المشرق, وقام بتكوين فرقة محلية تضم ألفين من سكان منط القبائل, وستة آلاف من الكراغلة (أبناء عبيد السلطان) الذين أبعدوا لفترة طويلة من الزمن ع الوظائف المدنية والعسكرية السامية, ومن بين المهام التي أوكلت إليهم حراسة مقر الحكم الجد وخزينة البايلك(14), التي كثيرا ما كانت تتعرض للنهب من طرف الإنكشارية.

لم يكن علي خوجة يثق كثيرا في الجنود الإنكشارية, ولهذا وضع بينهم الجواسيس ليطلعو على أخبارهم, مما جعله يتعرف على كل خططهم ومؤامراتهم, ومن ذلك أنه استطاع اكتشاف محاولة تمرد بين الجنود, فقام بالتخلص من المدبرين للاضطراب, ثم أصدر قرارا بحل فر الإنكشارية وفرض الطاعة بين جنودها, أما الرافضون للإصلاحات فقد سمح لهم بمغادرة الجزا والعودة إلى أوطانهم, وكان من نتائج هذا القرار أن غادرت مائتي عائلة المدينة متوجهة نحو تون أو طرابلس الغرب والأناضول(15) وللتخلص من الجنود المثيرين للفوضى, جمعهم في إحدى المرا وأرسلهم لمواجهة القبائل الثائرة, ثم أتبعهم بفرقة أخرى من الجيش قتلت الكثير منهم وأبعد الباقي عن المدينة(16), ويظهر أن هذا العمل ساهم في إبعاد خطر الإنكشارية أو على الأق إضعافه.

لم تقتصر إصلاحات علي خوجة على المجال السياسي والعسكري، بل امتدت إلى ميادين أخرى، ومن ذلك محاربته لظاهرة البغاء التي انتشرت بين الجنود، حيث طرد النساء الباغيات من داخل الثكنات، بل وحتى من مدينة الجزائر كلها وأرسلهم إلى شرشال، كما منع شرب الخمر وأغلق الحانات، وفرض الانضباط والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي، وفي هذا المجال يذكر الزهار أنه: "أمر بإبطال الزنا والخمر، ومن وجدوه مخمورا أو زانيا، يبعث به للقاضي لإجراء الحد الشرعي، وأمر الناس بالصلاة مع الجماعة، ونادى مناديه: أن من يبقى بدكانه بعد الآذان، فلا يلومن إلا نفسه"(17). أما لكسب تأييد السكان والتفافهم حوله، فإنه قام بتخفيض أسعار المواد الغذائية، غير أنه سرعان ما تخلى عن قراره بعدما عرفت المدينة ندرة في هذه المواد كادت أن تؤدي إلى مجاعة خطيرة(18).

لا شك أن هذه الإصلاحات أفقدت الإنكشارية كثيرا من الامتيازات التي تمتعت بها لفترة طويلة من الزمن، ونتيجة لذلك أعلن الجنود الثورة على الباشا الذي استطاع أن يلحق بهم الهزيمة بفضل قوة مدفعيته الموزعة على كل حصون المدينة، وقوة الجيش المحلي المكون من زواوة والكراغلة، أما من نجى من الجنود فقد لجأ إلى محلة الشرق، التي أعلنت العصيان وقررت التوجه نحو مدينة الجزائر لقلب نظام الحكم.

ورغم أن علي خوجة حاول اعتراض هذه القوة المتمردة، بإرسال مبعوثين إلى سكان القبائل لقطع الطريق أمامها عند جبال البيبان (أبواب الحديد) الإستراتيجية، إلا أن الثائرين اجتازوا الممر بسلام، واستطاعوا الوصول إلى مدينة الجزائر في نهاية نوفمبر **1817**، وهناك طالبوا التفاوض مع الداي، غير أن يحي آغا قائد جيشه خيرهم بين الاستسلام بدون شرط أو الحرب(19).

وهكذا عند اندلاع الحرب بين الطرفين، ظهر تفوق القوات المحلية أمام الجيش الإنكشاري، الذي خسر ألفا ومائتي جندي ومائة وخمسين ضابطا، ومن بقي منهم طلب الاستسلام والرحيل إلى أزمير والقسطنطينية، فمنح لهم ذلك(20).

خلاصة القول أن هذه الإصلاحات قد مكنت الداي علي خوجة من ضمان سلامته، حيث مات في فراشه عكس سابقيه، وهذا بعدما أصيب بوباء الطاعون، وذلك يوم الأول من مارس **1818**، وكان قبل وفاته قد عين خليفة له، بعدما أوصى بمنصبه إلى حسين خوجة الخيل(21).

ومهما يكن من أمر فإن المواقف من إصلاحات علي خوجة كانت متناقضة، ففي الوقت الذي يعتبرها أحمد الشريف الزهار محاولة جادة لإعادة الاستقرار داخل الإيالة(22)، يعتبر حمدان خوجة حاكم الإيالة السابق الذكر مجرد رجل مجنون جمع حوله عصابة من الجنود الأشقياء، الذين مكنوه من الوصول إلى الحكم، كما يرى أنه أرتكب الكثير من الجرائم لدرجة القول إنه: "لو عاش لتسبب في خراب الإيالة، ما في ذلك من شك"(23). ويظهر أن هذا الحكم فيه كثيرا من القسوة، فاعتماد الداي علي خوجة على السكان المحليين، كان يتجه بالإيالة إلى التخلص من هيمنة الجنود الإنكشارية، وتأسيس دولة وطنية تعتمد على قوات محلية، وتنهي امتيازات الإنكشارية، كما أن هذا العمل لم يشكل تغييرا بسيطا في نظام الحكم فحسب، بل كان ثورة شاملة في شكله وجوهره، هذا الحكم الذي انتقل من "جمهورية عسكرية" إلى نوع من الملكية، يكون للباشا فيها السلطة العليا والمطلقة في الإشراف على شؤون الإيالة دون إشراك الإنكشارية أو ديوانهم، مثلما كان عليه الحال سابقا(24).

أما عن مصير الإصلاحات، فإنه بمجرد تولي الداي حسين شؤون الإيالة في **1818**، بدأ في التخلي عن سياسة علي خوجة، فأصدر عفوا شاملا في حق الإنكشارية، وألغى كل الإجراءات السابقة، وأعاد فتح الحانات، وسمح للباغيات بالرجوع إلى مدينة الجزائر حيث بنى لهن حيا خاصا لهن(25). وكان من نتائج ذلك أن عاد الجنود الإنكشارية إلى إثارة الاضطرابات، مما جعله يتعرض لمحاولتين لاغتياله، وقد دفعه هذا الوضع المتردي إلى التحصن في القصبة تحت حراسة مكونة من جنود زواوة، بحيث أصبح لا يخرج منها إلا للضرورة القصوى(26)، وبقي الوضع متميزا بالفوضى إلى غاية مجيء الاحتلال الفرنسي، والسقوط الرسمي لإيالة الجزائر، بعد توقيع الداي حسين على معاهدة الاستسلام في **5** جويلية **1830**، التي شكلت بداية لعهد جديد في تاريخ الجزائر.

الهوامش

1- تميز العهد العثماني في الجزائر بظاهرة "الاغتيالات السياسية"، فإذا كان عهد البيلربايات والباشاوات قد تميز بنوع من الاستقرار حيث لم يقتل إلا البيلرباي كرد أوغلي، فإن عهد الأغوات (**1659- 1671**)، والدايات (**1671-1830**)، شهد انتشار هذه الظاهرة، حيث قتل الأغوات الأربعة، وحوالي نصف الدايات.

2- حول حياة هذا الداي وسيرته راجع: المدني، أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائري (**1766 - 1791**) (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1986**.

3- ابن العنتري، محمد الصالح - فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطين (مراجعة وتقديم وتعليق بوعزيز يحي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1991**، ص.ص **62-65**.

4- حول حياة هذا الباي ودوره راجع: بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779 –1796) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، وهران، نوفمبر 2003.

[illegible]- خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة (تقديم وتعريب وتحقيق الزبيري العربي)، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 149.

Chabaud. “Attaques des batteries Algériennes par Lord Exmouth en 1816”. R.A, 1875, p.195. -5

6- حول موضوع الثورات الشعبية ضد الحكم العثماني راجع:

7- الغالي، الغربي، الانتفاضات الشعبية في الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال الفرنسي (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، دمشق، 1985.

8- بوشنافي محمد، الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر 1700– 1830 (رسالة ماجستير)، قسم التاريخ، وهران، 2002. ص.ص 184-196.

9- شالر، وليم، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824) (تعريب وتعليق وتقديم العربي اسماعيل)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 172.

10- خط همايون 22474، المركز الوطني للأرشيف، الجزائر.

11- الزهار، أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشراف الجزائر (تحقيق المدني أحمد توفيق)،الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 132.

12- حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 153.

13- الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 134.

14- د.فارس، محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)، مطابع ألف باء، الأديب، دمشق، 1969، ص 86.

Gaïd, Mouloud. L’Algérie sous les trucs 2ème éditions. Edition Mimouni, Alger, 1991, p.178.-15

16- الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 136.

17- المرجع نفسه، ص 136.

Boyer, Pierre. La vie quotidienne à Alger à la veille de l’intervention française, librairie -18 Hachette, Paris, 1963. p.p. 95, 96.

19- حول يحي آغا راجع:

Robin (N). »Note sur Yahia Agha ». R.A., T 18, 1874, p.p.59,75.

20- أنظر:

- Boyer Pierre. Op. Cit.p 96.

Grammont (H.D de). Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830). Ernest -21 Leroux, éditeur, Paris, 1887. p.p., 381-382.

Boyer Pierre. Op.Cit. p.96.

22- الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 132.

23- حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 153.

Ernest, Watbled. “ Pachas- Pachasdey”- R.A. n° 17, 1873. p.412. -24

25- الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 144.

البـــاي محمد الكبير– باي وهران

1779-1797:

حياته وسيرته.

أ/ بلبروات بن عتو

الباي محمد بن عثمان الكردي أو الباي محمد الكبير كما هو شائع عنه، رجل من رجالات الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن الثامن عشر إذ حكم بايليك الغرب بصفة بـاي مـن 20 جمادى الثانية 1193 هـ إلى 25 جمادى الأولى 1212 هـ (جويلية 1779م إلى نوفمبر 1797م)، وتميز عن بقية البايات بأعماله التي عبرت بوضوح أن الرجل كان مسايرا لمشروع حضاري تغذيه حركة إصلاحية عاشت المخاض في عهد الداي محمد بن عثمان باشا 1766م – 1791م.

لم يترك لنا الباي محمد الكبير مذكرات عن حياته، رغم أنه اهتـم بحركة النسخ والتأليف، لكننا حاولنا نسج الخطوط العريضة لحياته من خلال مؤلفات موظفي ديوانه[1] آملين في التعريف بالرجل الذي يكاد يجهل لدى الجزائريين، والإجابة عن تساؤلات من لهم اهتمامات بالشخص المدروس[2] بالكيفية التالية:

I – مولده ونسبه: ولد الباي محمد الكبير بمليانة، التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي، ولا يمكننا تحديد تاريخ ولادته بدقة، إلا أن الخزندار"تدينا Thédenat"[3] قدّر عمر الباي محمد عند أول لقاء به في قصره عام 1779م بين أربعين وخمس وأربعين سنة اي ولد بين 1734 و1739م.

---

*- أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ- جامعة سيدي بلعباس.